

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَفْرِغْ خُطْبَةَ جُمُعَةٍ بِعِنَايَةِ:

الْحِرْصُ عَلَى السُّمْعَةِ الطَّيِّبَةِ وَالْبُعْدُ عَنِ السُّمْعَةِ السَّيِّئَةِ بِاخْتِيَارِ الصَّدِيقِ الصَّالِحِ

لِصَاحِبِ الْفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ أَبِي أَنَسٍ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي الْمَدْحَلِيِّ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(١)

[الْخُطْبَةُ الْأُولَى]: إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنُتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ

مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْمَرْءَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَحْرِصُ عَلَى سُمْعَتِهِ، وَيَحْرِصُ عَلَى ذِكْرِهِ
بِالْخَيْرِ، وَيَحْرِصُ أَلَّا يُذْكَرَ بِشَرٍّ، وَيَحْرِصُ أَيْضًا عَنِ الْإِبْتِعَادِ عَنِ السُّمْعَةِ السَّيِّئَةِ وَأَسْبَابِهَا وَأَرْبَابِهَا.
وَقَدْ بَيَّنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَحِيحِ سُنَّتِهِ ذَلِكَ، وَلَا نَسْتَطِيعُ عَلَى أَنْ نَأْتِيَ عَلَى هَذَا
كُلِّهِ، وَلَكِنَّا نَأْتِي بِمَا تيسَّرَ مِنْهُ.

عِبَادَ اللَّهِ، ثَمَّتَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ، يَسْمَعُهُ كَثِيرٌ مِنَّا، وَيَقْرُؤُهُ الْكَثِيرُ أَيْضًا، وَيُحَدِّثُ بِهِ الْقُرَاءُ
فِي الْمَسَاجِدِ كَثِيرًا، إِنَّ ذَلِكَ الْحَدِيثَ هُوَ مَا ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِ:
"مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ حَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ
يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ،
وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً."

^١ _ ألقاها في مسجد بدري بن سفر العتيبي رحمه الله، بالمدينة النبوية، يوم الجمعة، السابع عشر، من جمادى الآخرة، عام
أربعين وأربعمائة وألف من هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه (١٧/٦/١٤٤٠هـ).

عِبَادَ اللَّهِ، هَذَا الْحَدِيثُ (الَّذِي ضَرَبَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الْمَثَلَ الْوَاضِحَ الْمَوْجَزَ الْمُخْتَصَرَ) وَاللَّهُ إِنَّهُ لَكَافٍ فِي الْحِرْصِ عَلَى حُسْنِ السُّمْعَةِ، وَكَافٍ فِي الْحِرْصِ عَلَى أَسْبَابِهَا، وَكَافٍ فِي الْبُعْدِ عَنِ السُّمْعَةِ السَّيِّئَةِ، وَالْبُعْدِ عَنْ أَسْبَابِهَا، وَالْحَذَرِ مِنْ أَرْبَابِهَا.

أَمَّا الْجَلِيسُ الصَّالِحُ _يَا عِبَادَ اللَّهِ_ فَإِنَّهُ لَهُ الْأَثَرُ الطَّيِّبُ عَلَيْكَ _يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُ_، أَثَرُ طَيِّبٍ عَلَيْكَ؛ يَبْتَدِئُكَ بِالْخَيْرِ وَإِنْ لَمْ تَسْأَلْهُ، فَهُوَ مِثْلُ حَامِلِ الطَّيِّبِ، تَجِدُ الْهَدِيَّةَ الطَّيِّبَةَ، وَلَوْ لَمْ تَبْتَغِ مِنْهُ وَتَشْتَرِ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ يُحْذِيكَ؛ أَيُّ: يُهْدِيكَ مِنْ هَذَا الطَّيِّبِ الَّذِي مَعَهُ.

وَالْمِسْكُ قَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِيهِ: "أَطْيَبُ الطَّيِّبِ الْمِسْكُ"، وَقَدْ كَانَ أَحَبَّ الطَّيِّبِ إِلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، يَتَضَمَّخُ بِهِ، وَيُضَمِّخُ بِهِ رَأْسَهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَرَى وَمِيضُهُ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَهَكَذَا الْجَلِيسُ الصَّالِحُ يُتَحَفُّكَ بِالنَّافِعِ لَكَ وَإِنْ لَمْ تَسْأَلْهُ إِذَا رَأَى الْحَاجَةَ دَاعِيَةً إِلَى ذَلِكَ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ ذَلِكَ؛ اشْتَرَيْتَ مِنْهُ، وَإِذَا اشْتَرَيْتَ مِنْهُ؛ عَادَ عَلَيْكَ ذَلِكَ الطَّيِّبُ بِالْخَيْرِ، تَتَطَيَّبُ بِهِ، وَتَتَضَمَّخُ بِهِ، فَتَخْرُجُ فِي النَّاسِ مَاشِيًا بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ.

وَهَذَا مِثْلُهُ كَمَثَلِ سُؤَالِكَ أَنْتَ لِأَخِيكَ الصَّالِحِ؛ مِنْ عَابِدٍ وَعَالِمٍ وَزَاهِدٍ وَعَاقِلٍ صَاحِبِ خَيْرٍ؛ إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ سَأَلْتَهُ، فَأَفَادَكَ، فَأَفَادَتْهُ لَكَ بَعْدَ سُؤَالِكَ إِيَّاهُ هِيَ بِمَثَابَةِ الْاِشْتِرَاءِ مِنْهُ، فَالسُّؤَالُ بِمَثَابَةِ الثَّمَنِ، وَالْفَائِدَةُ الَّتِي يُعْطِيكَ إِيَّاهَا بِمَثَابَةِ السَّلْعَةِ.

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا وَلَا ذَاكَ؛ وَجَدْتَ مِنْهُ الرَّائِحَةَ الطَّيِّبَةَ، وَالرَّائِحَةَ الطَّيِّبَةَ _يَا عِبَادَ اللَّهِ_ هِيَ أَنْ يُقَالَ: هَذَا فُلَانٌ جَلِيسُ فُلَانٍ، وَهَذَا فُلَانٌ صَدِيقُ فُلَانٍ، فَيُنْسَبُ إِلَيْهِ، فَإِذَا نُسِبَ إِلَيْهِ اِكْتَسَبَ السُّمْعَةَ الطَّيِّبَةَ بِسَبَبِ ذَلِكَ، فَقِيلَ: أَنْعَمَ بِهِ وَأَكْرَمَ مِنْ جَلِيسٍ وَمُجَالَسٍ.

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَأَبْصِرْ قَرِيبَهُ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي

عِبَادَ اللَّهِ، يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَخْتَارَ الْجَلِيسَ الصَّالِحَ؛ لِأَنَّهُ كَمَا ذَكَرْنَا فِيهِ هَذِهِ الْخِلَالُ

الثَّلَاثُ.

أَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَا أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ جَمِيعًا مِمَّنْ يَسْتَمِيعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

[الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ]: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَالْقِسْمُ الثَّانِي يَا عِبَادَ اللَّهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي سَمِعْنَاهُ جَمِيعًا؛ إِنَّهُ الْجَلِيسُ السَّيِّئُ السَّيِّئُ السُّمْعَةُ عَلَى صَاحِبِهِ، وَآثَرُهُ فِيهِ، عِيَادًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.

إِنَّ الْجَلِيسَ الْخَبِيثَ فِي دِينِهِ وَخُلُقِهِ وَآدَابِهِ وَأَقْوَالِهِ قَدْ شَبَّهَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَافِخِ الْكَيْرِ، وَأَخْبَرَ بِآثَرِهِ الْبَالِغِ وَضَرَرِهِ الْعَظِيمِ عَلَى صَاحِبِهِ وَجَلِيسِهِ وَكُلِّ مَنْ اقْتَرَبَ مِنْهُ؛ حَيْثُ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ" وَحَرَقَ الثِّيَابَ يَكُونُ بِتَطَايُرِ شَرِّ نَارِهِ، فَتَحْرِقُ ثِيَابَكَ، عِيَادًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.

إِنَّ حَرَقَ الثِّيَابِ؛ الْمُرَادُ بِهِ: حَرَقَ الدِّينِ، وَالشَّرُّ: إِنَّمَا هُوَ أَخْلَاقُهُ السَّيِّئَةُ، وَمَعَامَلَاتُهُ السَّيِّئَةُ، وَمَعْدِنُهُ السَّيِّئُ الَّذِي انْطَلَقَ مِنْهُ فِعْلُهُ السَّيِّئُ، عِيَادًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.

فَهُوَ يُحْرِقُ دِينَكَ؛ حَيْثُ يَجْرُكَ إِلَى مَا هُوَ فِيهِ، مِنْ كُلِّ خَبِيثٍ، مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، عِيَادًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.

فَكَنَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ سُمْعَتِكَ وَدِينِكَ بِالثِّيَابِ، فَهِيَ الَّتِي تَسْتُرُكَ وَتَتَجَمَّلُ بِهَا، وَالدِّينُ يُجَمَّلُ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَالْجَلِيسُ السُّوءُ يُفْسِدُ عَلَيْكَ ذَلِكَ، فَيُفْسِدُ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ، أَلَا وَهِيَ دِينُكَ، فَإِذَا أَفْسَدَ الدِّينَ؛ فَمَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ؟! تَأْتِيكَ بَعْدَ ذَلِكَ السُّمْعَةُ السَّيِّئَةُ، أَلَا وَهِيَ الرِّيحُ الْخَبِيثَةُ؛ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

"وَأَمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً".

(وَالرَّيْحَةُ الْخَبِيثَةُ): هِيَ أَنْ يُقَالَ: هَذَا فُلَانٌ جَلِيسُ فُلَانٍ (ذَلِكَ السَّيِّئُ)، صَاحِبُ الْخُلُقِ السَّيِّئِ، الَّذِي لَا يُقِيمُ صَلَاةً، وَلَا يُقِيمُ وَزْنَ لِعِبَادَاتِهِ مَعَ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لَا يُرَى فِي مَسْجِدٍ، لَا

يُعْرِفُ مِنْهُ إِلَّا أَذِيَّتَهُ لِجِيرَانِهِ، لَا يُعْرِفُ مِنْهُ إِلَّا بَدَاةَ لِسَانِهِ، لَا يُعْرِفُ مِنْهُ إِلَّا إِذَاؤُهُ لَوَالِدِيهِ، وَهَلُمَّ جَرًّا.

فَإِذَا سَمِعَ النَّاسُ ذَلِكَ وَقَالُوا: فَلَانُ جَلِيسُهُ وَصَحْبِيهِ وَأَكِيلُهُ وَشَرِيبُهُ وَصَدِيقُهُ؛ قَالُوا: بئْسَ الرَّجُلُ هُوَ، بئْسَ الصَّاحِبُ وَالْمُصَاحَبُ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ يُوجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَخَيَّرَ الْأَصْدِقَاءَ وَالْإِخْوَانَ كَمَا نَتَخَيَّرُ أَطْيَبَ الطَّعَامِ لَنَا وَلِأَوْلَادِنَا وَلِمَنْ وَلَانَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَحْرِصَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ. أَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُوفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَأَنْ يُجَنِّبَنَا وَإِيَّاكُمْ أَسْبَابَ سَخَطِهِ.

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ؛ حَيْثُ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ عَلَيْهِمَا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (٢)، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا".

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، الْأَيْمَةِ الْمُهَدِّبِينَ، الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ، وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ (أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ)، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ التَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِفَضْلِكَ وَمَنَّكَ وَجُودِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشُّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَاحْمِ حَوْزَةَ الدِّينِ، وَانْصُرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ، اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي دُورِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَنَتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ وَلَايَتَنَا فِيْمَنْ خَافَكَ وَاتَّقَاكَ وَاتَّبَعَ رِضَاكَ وَحَكَمَ شَرْعَكَ فِي الْأَرْضِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَقُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

٢ _ سورة الأحزاب؛ آية ٥٦.